المخلب

"ج"

www.ebibliomania.com

+201065534541
+201208868826
fb.com/Books.Bibliomania/
بيبلومانيا للنشر والتوزيع
fb.com/bibliomania.eg/
Insta:books.bibliomania/
Books ـ بيبلومانيا
fb.com/groups/Bibliomania.Books/
@BibliomaniaEg

المخلب

"ج"

نصوص وقصص

جمال سليمان

ببلومانيا
للنشر والتوزيع

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر مقدمًا.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.

書誌事項

- **الكتاب: المخلب**
- **المؤلف: جمال سليمان**
- **تدقيق: محمود عياشي**
- **الطبعة الثانية 1440 هـ - 2018 م - القاهرة**
- **الناشر: ببلومانيا للنشر والتوزيع – مصر**

- **رقم الإيداع : 2018 / 23393**
- **الترقيم الدولي (ISBN): 978-977-6607-69-9**

- تنسيق وإخراج: فريق إعداد ببلومانيا
- الغلاف: فريق تصميم ببلومانيا
- المدير العام: جمال سليمان
- العنوان: 27 شارع جمال الدين دويدار من عباس العقاد – مدينة نصر - القاهرة
  38 شارع عمر المختار – الأميرية – القاهرة
- تليفاكس: 0020226061014
- محمول: 00201208868826 – 00201065534541 – 00201210826415
- صفحة الدار على موقع فيسبوك: https://www.facebook.com/bibliomania.eg/
- الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

"حينما تعجز أقلامنا عن كتابة مشاعرنا ..

حينما يستعصي الدفتر ..

نحتاج حينها إلى مخالب كي تحفر .."

المخلب

إهداء ..

"إلى والدتي، ووالدي ..

إلى صغيرتي .. التي حلمت بأني أحملها في علبة

كبريت"

جمال

إهداء الطبعة الثانية:

إلى زوجتي ديانا، وابنتي آيلا...

بكما تحلو الحياة ولو كانت مريرة،

ومهما عتت الصعاب يسيرة..

جمال الدين

"شكرا لمن يمنحوننا الابتسامة في أحلك لحظات الضيق. شكرا لمن يملؤهم الشغف بأن نكون سعداء رغم أنف الحياة"

جمال سليمان

مقدمة

"ستبكي في النهاية أو تبتسم مع نفسها، في محاولة لنسيان العالم وساكنيه"

جلال الدين الرومي

البداية:

لا أحب البدايات، لأننا غالبا ما نصطدم فيها بأشياء لا تعجبنا. ابدأ من المنتصف، في الوقت الذي ستكتشف فيه الحقيقة لن تكون أمامك مساحة كي تنظر إلى الخلف. لن تضطر إلى الندم كما يحدث في غالب الأمور. شقّ طريقَك إلى النهاية من المنتصف. اختصر المسافات، حتى لا تضيع وقتك في بدايات سخيفة وغير مجدية.

"ويزأر قلبي حين تذكره الليالي ..

وينساه الأحبة"

"أيها الغائب الذي أدمانا غيابه ..

كن منصفاً و عُدْ"

وكيف نعود . .

ولمعةُ عينيك في الحزن خنجر،

يقطّع نياط القلب ~

ولا زلت من عينيك أخجل ..

وأنت برغم هذا الحزن،

أجمل ..

ولا زلت أجهل ..

كيف أحبك كل هذا الحب .. وأرحل !!

وأمضى بعمري بعيدا بعيدا ..

وقلبي يظل وحيدا وحيدا ..

يعنفني لأجلك .. ويسأل ..

لماذا افترقنا؟ ..

وكل حدود العشق اخترقنا ..

وشوقا .. ووجدا ..حنينا غرقنا؟؟

وبين الخيال وبين المحال احترقنا ..

وصرنا غريبين .. رغم الوجود

أيعقل؟؟

لماذا التقينا وكيف افترقنا !!

وكيف نعود ..

"أخبريني .. ذلك الصوت الذي أسمعه بداخلي،

و مات منذ زمن، كيف له أن يعود؟؟"

أيتها النقوش التي حفرتها الأيادي العصماء..

انطقي الآن أو اصمتي أبدا..

لم يبقَ شيءٌ في قلوب الضعفاء،

ينشـدُ الحصن ، أو يبغي الولدَ..

نوفمبر2013

"إلى أولئك الذين منحونا أروع ما في الحياة،

وأسوأ ما فيها .... شكرا"

هذيان ..

_ "أريد امرأة تحبني، لا أريد امرأة تقهرني"

_ وهل ستحبها؟؟

_ لا أدري .. ربما إن قهرتني.

_ أأنت مجنون !!؟؟

_ وهل أخبرتك من قبل بأني عاقل؟

"مجبرٌ أنا على ترك كل شيء كما هو، ليس

لأني أحبه ..ولكن لأن الأصل

دائما أصدق."

"أمل"

التفتت نحوه .. وسألته باسمة:

– ماذا ستسميها؟

حمل وليدته بحنو، وصمت هنيهة كأنما يستدعي خاطرا زاره منذ زمن، ثم نظر إلى عينيها الصغيرتين الضاحكتين وخاطبها وكأنها ستعي ما سيقول:

"الحياة ليست وديعة أيتها الصغيرة ..

لن تسمح لكِ أن تخضبيها بابتساماتك البريئة.

لكن دوما اهزميها بالأمل ..

فكوني .. أمل"

فاصل ..

دائما ما نسلك أطول الطرق للبحث .. ليس غباءً، ولكننا نرغب بجرعة زائدة من الأمل بأن الذي ضاع ربما نلتقيه بعد فترة.

ثمة أشياء فقدانها يعني النهاية، ولا سبيل للعودة بدونها..

وأن تكون حرا هو أن تختار بملء إرادتك ما يشقيك لأن قلبك يملي عليك ذلك، مهما نصحك الآخرون ..

مهما أرادوا أن يثنوك عن قرارك ..

الحرية أحيانا .. أن تظل متمسكا بذلك القيد، الذي يطوق عنقك ويمكنه أن يرديك قتيلا في لحظة ما. الحرية أحيانا أن تقتل نفسك بأيديهم..

ستقول شكرا ..

سيكون عليك أن تكون ممتنا لهم ، دائما .. وأن تشكرهم بكل ما أوتيت من لطف، وحرارة .. وتقول شكراً من القلب ..

شكرا لكل التجارب والأوجاع التي فرطت من العمر سنين هباء.

لكن لحظة ، ..

ليست هباءً ..

لقد عرفنا قدرنا ، وقدرهم ..

أدركنا ماهيتنا وقدرنا عندهم. إن قيمة الإنسان تبرز جلية في وقت يستحيل فيه المماطلة .. فإما قرار ، وإما قرار ..

وبين هذا وذاك نعرف أنفسنا .. ونعرفهم.

لذلك شكرا .. ومن القلب.

ستكون سعيدا ..

قدر من السعادة قد يتحصل عليه الإنسان حين يعرف أنه أخطأ، وليس كما يظن البعض ..

ليس بالضرورة أن يكون الإنسان حزينا ومهموما لأنه أخطأ ..

هي لحظة صفاء ومصالحة مع النفس يكون فيها الاعتراف المكسو بثياب الصدق هو السائد..

الاعتذار هو الداعي للمصالحة ..

الندم هو العهد الذي بيننا ..

ستكون سعيدا حينما تعتذر لنفسك، لأنك أخطأت في حقها ..

وسعيدا لأنك أدركت ذلك مبكرا..

قبل أن تدخل في صراع جديد ..

صراع لا يعرف تبعاته ، أو يستطيع أن يتحمل عواقبه أحد.

لا تتوهم ..

لا تبحث عن أشياء فقدت منك قديماً،

فقدت بريقها وقيمتها ..

وأنت لم تعد تحبها كما كانت ..

ولكنك لا تدري !!

لا تتظاهر بأنك تحن إليها ،

قد تظن أنك لازلت متعلقا بها ..

ربما لأنك تعلقت بها في وقت مضى حد الحرقة والبكاء..

حد الوجع الذي لا ينتهي ..

لكن وجعك قد شفي، وجرحك قد اندمل ..

أنت لا تحتاج إلى سماع ذلك الوهم الذي يبصق في أذنك..

وحينما تغادرهم ..

و تغادر هواجسك التي تحملهم في كل دقيقة،

ولا تعود تتعلق بلقاء لن يأتي، أو مطر لم تخلق له غيمة..

ستبرأ من أوجاعك،

ستدرك الحقيقة التي يخفيها عنك الوجع ..

حين تغادر كل شيء يخصهم ..

وتعزف عن كل شيء أحببته لأجلهم ..

هذا المكان ، وذلك العطر .. و تلك القصيدة ..

حينها فقط ..

ستعرف أن الحياة ليست هم .. الحياة أنت..

ثم أنت ..

ثم أنت ..

ستبكي ربما ..

لأنهم خانوك ..

لأنهم ذبحوك من الوريد إلى الوريد ..

وأقاموا على جثة حبك مأدبة بآلاف الألوان ..

لأنهم قصفوك ليلا بالوقت المحرم ..

ولم يكن ذنبك سوى أنك أحببتهم بقدر ما في قلبك من أمنيات

..

صليت كثيرا .. لأجل أن يكونوا هنا حاضرين ..

غير أنهم امتهنوا الغياب ،،

وأجهزوا على ما تبقى منك ،

و تركوك على قيد الوجع تصارع نفسك ..

وتشتهي النجاة من براثن الندم ..

ستبكي ..

لأنك ممزق، وضائع ..

لا تعرف كم من الوقت يلزمك كي تلملم شتات نفسك ..

كي تنتصب واقفا مرة أخرى، كما كنت من قبل ..

كي تعود إلى البداية ..

من جديد ..

ستبكي .. بحرقة !!

سيخنقك ذلك الفراغ الضيق، الذي لم يتح لك المسافة التي تحتاج كي تتنفس ..

ستضيق بك الأماكن بشدة ، ويخنقك صمتها الصاخب..

وستحمل أنفك كل عبق للذكرى ، ولكنه يخنقك حد الموت الذي لا تستطيع الفكاك منه ..

ستبكي لأنك آمنت بأن الأشياء الجميلة تستحق أن تعيش من أجلها الصعاب ..

وقد عشت، ورحلت ..!

ستبكي حين يهزمك الحنين إليهم ، ولا تعرف كيف تخبرهم ..!!

ستحزن كثيرا لأنك وحدك تواجه كل هذا الواقع المرّ ..

دون كلمة واحدة يشتهيها قلبك .. ليصبر !!

وتود لو تتشبث بهم برغم كل شيء ..

لكن في نفسك يقين بأن ذلك لم يعد ممكنا،

ولو حاولت أن تفتح بابا للعودة سيكون بابا للجحيم ..

فتتراجع في صمت ولا تجرؤ على طرقه .. !!

"سيبقى المطر جميلًا ..

مهما اسودت الغيمات"

"سلامٌ على لونِ الحُزنِ في عينيكِ"

رسائل لا تصل

(1)

لن تكون حاضرًا اليوم، وأنا أتلو على نعش حبك صلواتي الأخيرة ..

وأنا أغلق خلفك آخر أبواب العتاب ..

وأمزق آخر تذكرة للعودة،

وأشطب من ذاكرتي ما تبقى منك،

لن تكون هنا ..

وأنا أشرعُ نافذتي لأستقبل ذاك الفجرُ الجديد،

بعيدا كل البعد عن كل شيء جمعنا،

يوما ..

(2)

إنها الثلوج يا عزيزتي ، تأتي لتغطي كل شيء .. الا الكآبة التي غمرت كتاباتي..

(3)

الآن أشاهد أمطار الخريف ..

كاذبة مثلك تماما، توحي بالحضور

لكنها سريعة الغياب ..

(4)

ما يبكيكِ الآن ؟

هل تفتقدين أقصوصة قبل النوم؟ ..

أم أن عينيك طُرِفَتْا !!

(5)

وستأبى قدماي أن تحملني لطريق، يسكن ظلك منتهاه.

(6)

"لو أننا لم نفترق[1]"..

لا أعرف كيف أمضيت كل ذلك الوقت في الغياب..

لا أعرف كيف أطقت ابتعادك عني كل تلك المدة..

و الحين..

(7)

اشتقت إليك كثيرا، ولا أملك أن أخبرك ..

ولا أعرف إن التقينا مجددا، وجمعت بيننا الأقدار في محاولة أخيرة لمنح قبلة الحياة لقلب يحتضر .. هل سأخبرك؟؟

[1] مطلع قصيدة للشاعر فاروق جويدة

(8)

هل سأقول لك : إني لا أعرف كيف جرّتني الدنيا في ذيلها تائها في الدروب بعيدا عنك ، وتحملت!..

هل سأخبرك بأني قد اشتقت إليك كثيرا ؟! أم سأكتفي بنظرة صامتة .. وتنهيدة من صدري المثقوب؟!.

هل سأقول أني أحبك ؟.. أم سأترك الصمت يخبرك معاناتي وانكساري؟..

لا أعرف ماذا سأفعل؟. أو ماذا سأقول..!?

لكني سأعود مجددا للحياة..

"إن من الوفاء .. أن يظل طيفهم عالقا بذاكرتنا

قبل أن

نقرر

ذلك."

"الإنكسار"

أن تستسلم للحزن حتى يرتوي

من أوجاعك و تهدأ ثورته ..

ثم يبتعد، مخلفاً خيبة لا تنتهي.

2013/11/2

من أوراق "الفقد"

أعرف وجها يشبه وجهك، ويحمل وجعا يشبه وجعك ..

لكنه أكثر وفاءا للحزن، وأشدّ صبرا على الغياب !

(1)

منذ زمن وأنا أبحث عن شيء بداخلي ..

مفقود..

لا أدري ما هو..

لعلي أرتاح ان وجدته ،

فقد كنت سعيدا به وأنا صغير ...!

ليتنا نعود صغارا ..

بقلوب صغيرة،

لا تعرف سوى النوم واللعب.

(2)

وبنيت أحلامي الجميلة فوق أكوام الســحاب ..

لم أدر يوما أنها ســترحل ..

وأن ريحاً آثمةً .. ستحملها لغيري !!

واليوم أنظر إليها من بعيد ..

أشاهدها غيثا في أرضه. !!

(3)

ثمة قلوب لا تكررها الحياة، لمرة واحدة فقط تلتقيها ..ثم ترحل ..

(4)

تستمعين "فيروز" وهي تغني ..

" سكن الليل" ، فأعلم أنك بخير ..

أما أنا والدرويش .. فنبحث عن وطن فقدناه !!

(5)

حين أذكرك، دائما ..

يغوص قلبي ..

وكأنه يحتضر !!

(6)

موحشة هي الأماكن ..

تمر بي لحظات أراك فيها، وأظن أنه مجرد غياب، وسيزول ،

لا أعرف كيف ستأتي بك الأيام بعد أن رحلت

لا أريد أن أصدق أنه لا لقاء بيننا ..

ثمة أشياء أكثر ألما من الفقد ..أن تدرك أنه بلا نهاية.

(7)

دائما ما تكون الخسائر مؤلمة،

حتى وإن تناهت في الصغر ..

الألم لا يعرف الغياب. !

(8)

أحيانا نبدو فارغين من الداخل ، وكأن كل شيء فينا قد رحل مع من رحلوا..

(9)

ضاعت الأحلام وسط كومة من الخيبات المتكررة. والنسيان عصيٌّ كصوت الأموات.

(10)

لا تأمنْ لليلٍ أبداً، .. فلطالما أغرانا بالحلم ثم سرقه.

(11)

وعلى مشارف النسيان ..

تبدو كل الأبواب مشرعة، ولكن لا نستطيع الدخول. كمدينة محرَّمة لا تطأها خطانا.

(11)

ليس حلما..

أن يأتي بك المكان محمولا في زي العرس!

متجردا من كل نبوءات الغياب..

ومحفوفا بقَدَرٍ يخط قصتك في قلبي..

وكغيمة ترسم على الرمل ما يشبه ملامح الماضي..

(12)

لم يعد يعنيني الماضي..

لم أعد أفكر في غد..

فقط سأقنع نفسي بالنوم حتى أغافل الذاكرة وأظفر بشيء من النسيان.

(13)

سأختفي من أوراقك يوما .. كما اختفيت من حياتك بالأمس

(14)

نحن في هذه الحياة، كرحّالة وقفوا على مشارف مدينة يرقبون أسوارها ويلوحون من بعيد.

"وتبقى الأما كن دوماً .. الأكثر وفاءً"

فاصل

"قبل أن تقرر أن تعيش شريفاً،

عليك أن تعي تماما حجمَ المعاناة التي ستكابدها

وأنت ممسكٌ بتلابيب الصدق والأمانة."

من أوراق "الحنين"

"من بين خسائرنا هزائمنا، سيظل الحنين ..

هو أكبر خيبة تلاحقنا"

(1)

حنين للماضي ..

_ بقايا ذكـريات تســاومني ،

وبعض أحلام / متهالكة ..

أكذوبة .. "أنت لي"

(2)

لن يشفيني منك شيء ، غير نوم طويل ..

يعقبه .. أولا يعقبه ، يوم جديد بذاكرة مُمحــاة !!

(3)

في زحمة الحنين، تتسرب قرارتنا الخاسرة مجددا،

ونقف لنعلن الهزيمة السبعين والمائة و الألف..

ثمة هزائم تظل تلد خيبات صغيرة إلى نهاية العمر،

بلا توقف ..!!

(4)

لا شيء يقتلك كالحنين..

حنين إلى وطن..

حنين إلى شخص..

حنين إلى الطفولة ..

ككتاب .. هجره الجميع وغطّاه التراب.

من أوراقه "الغياب "

أما يا غائبي آن الأوانُ .. إلى الُّلقيا وفرح الصابرين ؟؟

ذقت البعد مراً و هوانا .. وشوقا يملأ القلب الحزين

(1)

لستُ نادمًا ..

برغم حماقاتي وجنوني وذلّاتي .. وصفحك لي.

لست نادما لأنك رحلتِ بعد أن فقدتِ الأمل في أن أكون كما تريدين ..

كما تحلمين، وكما كنت أريد لنفسي حقيقة ..

أدركت الآن .. كم كنت غبياً حد الحمق !!

أضعتك .. ثم أضعت نفسي ..

لست مرتاحاً وأنا أتابع أخبارك كل يوم ..

أذهب إلى نفس المقهى بصحبة الجريدة ..!

أعتصر فؤادي الذي ينزف شوقا إليك ..

أحتسي قهوتي المرَّة، غير عابئٍ بصياح الوقت ..

اِنهض !!

فلم يتبقَّ لك الكثير ..

أنا الآن في معترك الوجع أصارع العمر..

يطرحني فأعود لأطرحه ..

لكني لا أظنُّ أنَّني سأستطيع ذلك في المرة القادمة ..

قبل أن أقول وداعاً، أردت أن أهديَكِ كل شيء جميل في حياتي..

كل جنوني الذي تخللك يوما ..

كل ضحكي وابتساماتي ورسومي وكتاباتي ..

وأنا أفتح نافذة قلبي لتطلي أنت بروعتك ..

أحتاج أن أراك ولو للمرة الأخيرة ..

أحتاج أن أمزق عنفواني أمامك ..

وأعلن أمامك الانكسارَ للمرة الأولى ..

والأخيرة ... !!

أريدك أن تنتشي برؤيتي ضعيفا أمامك ..

ها أنا أرحل رويداً رويداً ..

وأترك قلبي معلَّقاً بثوبك ..

ينتفض ببطء ..

ويغادر بلا رجعة .. !!

سأرحل بسلام ..

وأنا لا أملك أن أندم .. !!

لست نادما ، لأني عشتك واقعا أجمل من الحلم .

لست نادما لأني حظيت بلحظة عشق تعادل الدهر كله ..

لأنك يوما ما قلتِ لي "أحبّك يا مجنون".. !!

****

"ولأنك مقيد بالمكان، فحتى حين تنوي الغياب، يرحل بعضٌ منك ..

ويبقى الكثير هنا"

(2)

ربما لم نستطع الفرار من بعض الماضي الذي ظل مستقرًّا بداخلنا رغم اتساع الهوّة التي ألقيناه فيها.

ربما هناك أشياء تنبش نفسها وتخرج من مقابر القلوب. ولا يسعنا إلا التمدد أكثر.. حتى لا تخرج !!

ولكن صبرا ..

القلم الذي كان يكتبك دائما يوشك أن يصبح قعيدا ،، ملازما للفراش ..

والذّاكرة التي كانت تزورني بأشيائك تبدو وكأنها تحتضر ..

صارت هشة كورقة في عنفوان الخريف ..

ربما حان الوقت كي يرحل كل ما يربطني بكِ ، ويقيدني بماضٍ لا رجاءَ منه.

***

(3)

ضجيج ..

ضجيج ..

الضجيج بداخلي لا يتوقف .. والجدران صماء.

ليتهم أحبونا على قدر الغياب ..

تزورنا صورهم وأصواتهم وتعبث بعقولنا ..

لم يعد لنا حظ في النسيان ..

والوقت واقف كعسكري المرور ، جريمة أن يمضي ..

نهرب !!

سحقا للهروب أيضا ..

اليوم الذي يلي الهروب ، تقبض على أنفاسك ذاكرة، تتكاثر كل دقيقة.

***

(4)

نخفي كثيرا من المشاعر .. ونكاد نختفي من فرط ما نخفي.

ونحتسي شيئا من عباب الذاكرة، بين طياته مرارة.

***

من أوراق "الألم"

"أنا الذي لا أكتفي بخسارة واحدة،

أو ألم واحد ..

أو خيبة واحدة"

(1)

سلامٌ على الذين غادرتهم الحياة، ولم يغادروها ..

و سلامٌ على قلبِكِ الضجِر ،،

الممتلئ بالغياب والحزن والمطر ..

(2)

ونظل نتنظر أشياءا لا تأتي ونعانق أشياءا لا تبقى،

فتختفي ..ونختفي .. !!

تلك أكبر مأساة ، أن نرحل .. ونحن على قيد الوجود !!

ولكني أراكِ دوما ..

أراكِ .. كلما نظرت إلى تلك الهوة السحيقة التي بداخلي ،،

يملؤني ذلك الشغف بأن تسدي كل نوافذ الغياب ..

وتسكني بين جلدي ..

ولكن هيهات هيهات ..

فأنتِ والنسيان وجهان لخيبة واحدة..

وأنا متعب من الخيبات .

متعب من الهزائم ..

و صار صوتي يزعجني أكثر من أي شيء آخر.

(3)

أن أحبك يعني شيء واحد فقط بالنسبة لي .. "الفناء.. "

ولا أدري كم من الوقت سيلزمني كي أجرب الموت بإرادتي.. !!

أن ألتقيك يعني لي أن أستقيل من كبريائي ..

من عنفواني ..من شرقيتي ..من نفسي ..

وفي نهاية اللقاء، سأكون موبوءاً بالخذلان ..

مثقلاً بالغياب،،

وصقيع يتسلل من قلبي إلى أطرافي ..

افترقنا بصمت ..

والليل الذي سقط في قلبي ممتلئٌ بالأوجاع ..

ممتلئٌ بك ..

"ساخبر (ها) كم هي جميلة عيناها.."

(4)

وحدك تتوغلين في شراييني وأوردتي ..

أسمع صوت دقات قلبي في صوتك ..

أسمع صوت النزف يرنّ بأوردتي ،،

أتعلق بصوتك كالطفل الذي يتهلل فرحا بقدوم أمه ..

أفرح !!!

ولكني أخاف أن أفرح ،

فقد علموني أن أحذر الفرح ؛ لأن خيانته قاسية، من أين تأتيني فجأة تسحقني ..

نعم يا درويش ..

أخاف أن ينصب لي الفرح شَركاً ، لا نجاة منه ..

قلبي الذي تعلق كثيرا ..

وتألم كثيرا ..

لم يعد بوسعه أن يتحمل مزيدا من الإنكسارات ..

نعم أخاف أن أفرح ..

أنا الذي لا أكتفي أبدا بجرح واحد ..

يظل قلبي أحمقَ لا يتعلّم ..

وأنا أخاف عليه .. أخاف من فرح يجعله يتعلق بأعمدة السماء ثم يتركه ليسقط على مسود مسنون !!

أخبرني عن ذلك الشيء الذي يؤلمنا ورغم ذلك نريده ..

نريد ذلك الألم أن يخترق أجسادنا ولا يغادرها ..

نريد أن نتألم منه أكثر .. وحينما يفقد قسوته،

قد يموت ، ونموت..

من أوراق "العزلة"

"وستكفر بكل النبوءات التي قالت يوما إنّك لن تحب"

(1)

وحيدا في زوايا غرفتي الضيقة أمكثُ هادئاَ ..

أرتدي معطف الصمت، وداخلي يضجُّ ..!

ثمَّةَ صوت لا يعرف النَّوم ..

تنام العين، ويظل القلب ثائراً في غربته.

أردتّ أن أكتب شيئاً ..

قررت أن أنساكِ، وأن أذبح ذلك الاشتياق إليك كي لا يعود مجدّداً مرتدياً ثوبَ اللّصوص ويتسلّل إلى قلبي كل ليلة ..

أمسكت بالقلم ..

ذاك الذي أهديتنيه، هو نفسه قلمي الذي أكتب به ..

لم يطاوعني قلمي حين أردت أن أكتب "نسيتك!.. "

ويزعجني ذلك جدا..

أن أظل سجينا لذلك القلم..

ما أشد وفاءه، يعرف كيف يذكر تلك الأنامل التي احتضنته قبلي

..

***

(2)

دائما الذين يريدون الحياة ويتمسكون بها لا ينعمون بالراحة،

ولا بالطمأنينة ..

الخوف ظل كئيب يلاحقهم ..

في أكثر لحظاتهم أنسا .. وفي أحلك لحظات عزلتهم ..

ضعفاء مهما حاولوا الصمود ..

إن القوة التي نتباهى بها خواء لا أساس له. أن تتظاهر بأنك قوي وأنت كطفل ينتظر غمرة أمه.

ولكن لا أحد يحب أن يبدو ضعيفا حتى أمام الورقة التي يخطُط فيها هزله وخرافاته وهذيانه ..

يكره الضعف .. وربما ، يخافه.

فيضطر إلى الكذب كثيرا .. ربما،

ليس أبشع من الكذب في الكتابة،

أن تكتب عن السعادة وأنت مثقل بالهموم ..

أن تصفق للأمل وأنت لا تراه ولكنهم أرادوا لك ذلك .. فصفق !!

أن تدعي القوة وأنت على شفا الانهيار ..

هذه الكذبات المحترفة سيصدقونها،

و ستنجح ..

ولكنك ستكون كمن طعن نفسه بسكين.

***

"أحبيني إلى حد الوجع، إلى حد الزخم ..

إلى نقطة ما وراء الشمس وأبعد من كل النُجُوم"

(3)

الأشياء الجميلة تتساقط كأوراق الشجر .. كثير منها يذهب مع الرياح، والبعض يبقى حينما نُصرّ على التقاطه.. الشيء المؤكد، أن الأوراق التي ذهبت لن تعود.

لكن الأشجار تظل تنبت أوراقا جديدة كل عام..

حقيقة الأمر ، أن الحياة ليست سوداوية تماما .. إنها متدرجة الألوان من الأسود إلى الأبيض ..

ولكل إنسان درجته وفقا لقَدَرِه وقُدرته على تبييضها أو تعتيمها.

اللون الرمادي هو السائد دائما،

وكأنه يقول لك : إن هناك اتّزاناً بين الحزن والفرح .. بين الألم والراحة .. بين ما تنفق وما تحصد !!

ومع استمرار الألم .. يواصل الإنسان (الطبيعي) فقدانه للإحساس للدرجة التي يجد فيها نفسه غير قادر على الاستمتاع بشيء ..

أو حتى الخوف من شيء ، وقد يولّد لديه ذلك رغبة واحدة فقط ..

هي تجربة الموت ..!

لأنه الشيء الوحيد الذي يبدو مبهما وغريبا ..

لكنه (الإنسان الطّبيعي) يعود ليتمسك ببقايا أمل تمثل في شخص ما قريب إلى قلبه ..

يجعله يزيح عنه كل الأفكار السوداء، ويفتح ذراعيه مقبلا على الحياة بشوق أكبر ..

***

.. "الوجع أصمّ

.. الحنين أخرس

الشوق لايُرى،

وأصدق ما نشعر به أصعب من أن يروى"

"أيها الباكون على جدار الصدف .."

سينعم ظلكم بنوم عميق ..

بموت رقيق ..

فقد هجرت شمسكم كبد السماء ..

ونزحت أرواحكم بعد العناء ..

ومحيت في مدنكم الطريق

بموت الصديق ..

بفقد الرفيق ..

بشيء مكسور من خزف ..

بشيء يتعالى في ترف ..

يؤمِّن أنعامكم في السفر ..

أيسقي روابيكم المطر؟؟

***

"بعشرة كلمات"

يا حديث الأعراس ..

يا ليالي الشتاء الباردة ..

يا قصيدة الوطن ..

يا رائحة المطر ..

يا قصتي الكاذبة وأحجية العالم المريض ..

الآن أعلن أني قد مللت منك ومن كل شيء بات يذكرني بك.

لا تدعيني أبدا إلى اللقاء مهما حدث، ولا تنشدي يوما أن نلتقي تحت سفح العشق المذبوح جهرا أمام ناظري الغرباء ..

أشعر بالحنق، والغضب الشديدين عليك وعلى كل تلك الأمور التي حدثت بيننا سرا

ولكني لا أملك إلا أن أقذفك بحبي وأشواقي كلما زعلت أو توسد الغيظ قلبي واستشطت غضبا.

ربما كان من الحمق أن أعشق امرأة مثلك، لا تستطيع أن تقرر مصيرها، أو أن تهجر الدنيا وقتما يستوطن الشوق قلبها .. وتحب.

أغضب كلما تذكرتك وأنت تلعنين الأيام التي ربما لم تعطني الفرصة كي أهجر مدينتك وأرحل حاملا معي قلبي وكل أحلام الطفولة وأهازيج الأعراس التي حضرناها سويا منذ عقدين.

غرباء كنا، وغرباء سنظل حتى نلتقي .. إن التقينا. وغرباء سنفترق بعد اللقاء ..

أتعرفين ما يؤلم حقا ؟ أن أكون هناك في بلاد بعيدة وأموت من الشوق ولا يقدر أحدهم أن يعيرني كفنا من الزهور التحفه كلما أردت الموت في أحضانك.

شيء من الإغتراب يقتل أكثر من نصل سكين حادة.

ليتني استطعت ان أذبح شوقي وشوقك فنعمتُ إذن بموتٍ هادئٍ على ضفة النهر.

ليتني لم أعرف الحب ولا الحنين .. فكرّست نفسي للدين أو للعلم أو للموت شهيدا في سبيل أحدهما.

ولكن ما يفعل العاشق في حياته غير عشقه كما يقول مولانا جلال الدين الرومي !!

ليت ذلك القلب لم يعرف الحب يوما .. ليته كان خريفا أجدبَ لا يثمر الشوق فيه، ولا يسكنه الحنين.

ليتني لم ألتق بك يوما ..

ولم ألعن تلك اللحظة التي تقاطع فيها طريقانا لنتواجه بالعينين ..

كنت أشعر بالبرد كشجرةٍ تعرت أمام الخريف، وقبع الشتاء بأطرافها، وكانت عيناك تشعّ دفئا ..

أحببتك حد الرّعشة التي سرت بأوصالي وتمنيت أن أدفن نفسي وقشعريرتي بحضنك دون فاصل عشق أو سابق حنين ..

لا زلت أذكر تلك النظرة التي رمقتني بها كنمرة مغرورة تُحذر فريستها من الاقتراب بغرور .. والابتسامة تلوح خلف شذرات عينيها ..

أحسست أنكِ لطالما أردتني .. ولطالما تمنيتِ أن يجمعنا طريقٌ أو يحفدنا واقع .. وأنك قطنتِ مدينة الأحلام نفسها التي كنت

أسكن قبل ملايين السنين ..

أحسست بالدفء لمجرد أن تحدثتِ ..

وطربت لصوتك المغلّف بنايات الحرمان والقهر ..

ورغم بؤسك وحزنك وكل شيء .. كنتِ فاتنة حد الوجد الذي يقتل ببراءة ..

وكنتُ كتلميذٍ أبلهٍ ينتظر ببلادةٍ أن تصفعيه ليفيق ..

انتظرت الصفعة التي لم تأتني سريعة، وانتظرت الموت على حافة اللقاء الأخير ..

غير أنك لم تأتي ..

وأني لم أمت ..

***

"عجوز كشمير"

قصة قصيرة

انزوى في ركن الغرفة، يعتصره الألم ..وأخذ يكتب وقد ابتلت لحيته وأوراقه بدموع غزيرة كسيل منهمر ..ارتعشت يداه وشهق كثيرا لكنه قاوم الرجفة وأخذ يمسح عن ورقته ما يعيق الحبر، ثم قام إلى قطعة من القماش وجفف بها ما سال من دمعه وكتب:

كيف ترتسم الملامح بتلك الصورة المزرية لتبرز كل هذه المشاعر المتضاربة في ذات الوقت ؟؟كيف يتحمل هذا القلب كل ذلك الألم الذي يكاد أن يفقأه ويدميه، ويخرج من طيات جيوبه ابتسامة حانية لعينين دامتعين تلمح فيهما جبال من الحزن، يا الله رحماك ..كم هذا قاس لحد يفوق الوجع ويؤلم غاية الإيلام ..انظر لهما .. عينان تغيبان في وجه السماء ..وتلكما المقلتين أُثقلتا

بالدموع .. لكنهما متحجرتان وكأن غيمة حملت فوق وزرها، والتحفها الضباب ..حال بينها وبين الريح والجبال ...تودّ لو أنها تصطدم بالجبل فتنفجر وتفرغ ما في جوفها ..وانظر لهذا الجسد النحيل .. كم ذبل جلده .. ووهنت ضلوعه،وشاخت وجنتاه .. تهدّلت أهدابه ، ظمئت هواجره وتمدّد الألم وكأنه صدع يشق الجوف ..وهاتان الشفتان .. كيف استطاعتا ان تنفرجا عن تلك الابتسامة، التي تشبه ابتسامة الموتى ..موتى ليسوا بموتى .. نفقوا منذ دهر ..لكنهم لا يزالون على قيد الحياة ..اذا نظرت إليهم يخلع الرعب قلبك .. ولا تحتمل بؤسهم ومعاناتهم، فيبتسمون لك .. تكاد تفنجر باكيا ..يا الله .. كم هم بائسون .. شربوا من القيظ والصقيع .. ولاكوا الألم حتى تكسرت الأسنان، وكأنها قطع كلسية ..ورغم كل شيء .. لازالت قلوبهم تحمل بعضا من القدرة على التبسم ..حنانيك يا رباه ..ظل لأيام

لا يأكل إلا شيئا من التمر .. ولولاه لهلك من الجوع ..ومن السّهر احمرت عيناه وكأنها قرميداً

كانت صورة تلك العجوز لا تفارق مخيلته ؛ أُمٌّ فقدت ابنيها في الحرب الباردة، ثم فقدت بصرها عندما انفجر أحد أفران الأصّ في المزرعة التي تعمل بها وهي لا تجد الآن من يعولها .. وتخرج على قارعة الطريق كل صباح تحمل بعض ثمار السنديان لتبيعه للمرتزقة وهم مبكرون إلى العمل ..استوقفها واشترى منها وسمع منها قصّتها وكاد يموت كمدا

اعتصره الحزن وغاب في ركنه ثلاثة أسابيع، ولم يحتمل فطلب نقله من وظيفته كمراسل لبلد أخرى.

تمت

"سأرحل عند الخريف"

خاطرة

سأرحل عنكِ

وبرغم الألم..فلا أخاف إلا عليكِ

لن أدع لقلبي متسعاً من الكره كي يكرهك ..

سأحفر قبرا لذكرياتي ..و ألقي عليها من تراب اليأس و التعب

..

سيقطر قلبي دما كلما تذكرتك ،،

كلما تذكرت ما سببته لي من جروح ..

لن ألقي عليكِ كلمة لوم ...ولا خطبة وداع

سأترك للجليد مشاعري ، و عروقي ..حتى تجف

أعلم أني سأتألم كثيرا

ليس لبعدي عنك..!

ولكنه شعور سخيفٌ بالذنب لطالما رافقني في وحدتي و غربتي

ولا أدري له منطقا..

ولكنه معي لا يتركني لحظة ..

أشتاق للنسيان كما يشتاق الرضيع لأمه

و أشتاق الى الرّاحة أيضا .. !!

سآخذ قسطا من الراحة..وليت راحة الجسد تكفي

سأرحل في الخريف ..

في الموعد المعلن مسبقا ..

فيه التقيتك..و فيه سأرحل عنك ..

سيظل خريفي مليئاً بالمآسي..

مشبعاً بالآلام ..

ولأنه الخريف..يعيش على أنقاضي و غيري

سأترك له إرثي ..

سأقايضه لنفترق ..

ولكني أعرف أنه سيقتفي أثري و سيجدني ..

فأنا وهو لا نفترق..مهما حاولت الهروب !!

فهو خلفي تارة و بداخلي أغلب الوقتأ

فإذا كان خلفي فهو يلاحقني ..و إذا كان بي فلا يتركني

سأتركك للخريف... و أرحل

عند الخريف ..

***

"حصار"

تحاصرني حروفك كلما أردت الدخول إلى قلبك ..

تهاجمني القوافي حين أسمع صوتك ..

أسافر في بحر عينيك ..

أسابق الريح، لأصل قُربك ..

تدغدغني الأحلام، وأمسي لا أنام ..

أحيطك بقبلات الصباح، وأحتضنك ..

وأتيه في ملامح وجهك ..

أراقبك حين ترسمين،،

تحبين أكثر أن ترسمي وجهي

أحسّك تفهمين ..

كيف يكون الحب أبيٌّ ..

أُعاند فيكِ البراءة،

وأنشد فيكِ الأمل ..

يا قرة العين التي ملأتها الدموع ..

يا مهجة القلب الذي لا ينام ..!!!

***

"فُرقَة"

قصة قصيرة

جلست تحتضن دفترها ممسكة بزمام القلم ..

تشد عليه حتى لأنه يخَيَّل إلي انه انكسر ،

ظلت تقاوم نشيجها ، تهتز كأنها بيت يواجه زلزالاً عتيّاً وهو يضربه بعنف ..

سكنت قليلا ثم كتبت :

"إنني صغيرة يا أبي على كل هذه الحرقة ...

أرى أن الأيام المريرة لا تمضي أبدا،

لم أعد أكترث بالفرح يأتي أم لا، فقط أريد أن يهدأ قلبي من كل ذلك الحزن الذي يوجعه ...

أريد أن استريح من كل تلك الأوجاع، لا حاجة لي بالفرح ولكني أريد شيئا من الراحة ...

أريد هدنة مع الحزن – أهذا كثير يا أبي ؟؟

لماذا تركتني ورحلت يا أبي ؟؟؟

لماذا لم تأخذني معك وتركتني هنا وحدي أواجه أحزاني بعد رحيلك ؟؟

لماذا تركتني أصارع الموت الذي لا يأتي .. أموت وأنا على قيد الحياة ..

هل يقضي الإنسان من الحزن ؟؟ .. كنت أجد ذلك غريبا غير أني بدأت أدرك أنه واقع ..

رحلت عني حزنا على أمي، وها أنا يا أبي أصارع البقاء كي أرحل إليكما ..

لا مكان لي في الحياة بعدكما"

واحتضنت صورة أبويها وانفجرت تشهق باكية،

كانت تحمل من الحزن ما ضاق به صدرها، واحترق به قلبها ..

توقف عقلها عن التفكير وصارت طريدة الوجد، وفريسة الوجع

عافت نفسها كل شيء ..

حتى كتبها التي طالما سجنتها شهورا وأيام في غرفتها تقرأ غير مبالية بما يدور حولها من أحداث ..

التهم المرض اللعين أمها و فارقها والدها حزناً على رفيقة عمره ..

نامت سويعات، ثم أفاقت وقد أحست وكأن مطرقة هشمت رأسها ..

ذاب عقلها من شدة الألم .. لا تطيق ذلك الصداع ..

تشعر بأن رأسها مشقوقة، راحت تبحث عن بعض المهدئات في حقيبتها وأخذت بعضا منها..

قامت إلى كوب ساخن من الشاي .. وتذكرت رحمة الله .. فبكت كثيرا ثم هدأت ..

وقامت تصلّي ..

ولا زالت تصلي وهي تبكي حتى غلبها النوم فنامت في سكينة ..

تمت

"خلف تلال الضباب"

حملتني ما بي من آلام وأشواق مذبوحة على أن أذهب لأفتش عنك.. أراكِ من بعيد خلف تلٍّ من الضَّباب، وكنت قد عزمت على الاكتفاء من كل شيء...لكن شيئاً ما بداخلي يخبرني ..بأن أذهب... هل أنتِ فعلا من هناك؟؟... هل أنتِ من تقبعين خلف هذا التل الذي سأقصد، أم أنها شخص أخر غيرك؟؟؟... سأحرص على ألا أتمادى في أملي أكثر.. سأقنع نفسي بأنك لست هناك ... حتى يكون الطريق يسيراً ، فكلما فكرت انك من ينتظرني هناك...شعرت بأن قلبي قد سقط بين أحشائي..وخذلتِ قواي على حمل جسدي..و أُغمِضَتْ عيناي رغماً عني..دعيني أقنع نفسي [بأنكِ لست أنت] .. وإنما القابعة خلف هذا التل ، فتاة أخرى ..وأن التلال حولك كثيرة،

والضباب كثيف جدا..ولا مجال للرؤية عن بعد..سأقترب بحذر، و عند أبعد نقطة ممكنة أستطيع منها رؤيتك بوضوح..

سأقف..

حينها أتأكد، فإما أن أستمر في طريقي ، وإما أعود أدراجي،

وأرجع الى حيث كنت..

عسى ما تبقى لي من طاقة أن تسعفني كي أقوم برحلة جديدة.

شيء يدفعني لأن أمضي..

وأشياء أخرى تمسك بتلابيب إرادتي و تسمّر أقدامي و أطرافي حتى أبقى .

صديق ينصحني بالعودة ..

وشعور يئن، وخوف من الألم الرهيب يزعزع كياني و يطغى على تفكيري..

وما بين هذا و ذاك .. أمضي..

فأنّى لصديقي أن يعرف ما بي من ألم،

ولكنه يخشى علي من نوبات القنوط...

يراني بعين الأخ الحاني..

والأب الشفوق..

ويصر على أن ينتشلني بالقوة من همي ويأسي ...

وأحيانا أجدني أستمع له ، فما بي من شوق غامر للخروج من الجبِّ العميق الذي سقطت فيه أو ألقيت بنفسي فيه إن شئت القول، يئنّ بداخلي و يدفعني لأن أنصت.

وبعد رحلة من التفكير.. قررت المضيَّ في رحلة جديدة،

ولكن في حقيقة الأمر.. دون رغبة مكتملة.

***

"اللحظات الأخيرة"

قصة قصيرة

تتلخّص الحياة في بضع كلمات و بضع لحظات، حتى إنّك لا تُدرك أنّك كنت حياً إلا و ملك الموت فوق رأسك و يرفرف أمام عينيك

حيث تفقد الاتصال بالواقع، ولكنك في نفس الوقت تعي و تدرك ما يحدث أمامك...حيث الشعور بالعجز الكامل يولّد ذلك اختناقاً رهيباً..

و إحساسك بأنك تريد أن تصرخ و تستغيث بمن حولك من هول ما تراه و تشعر به، ولكن صوتك لا يطيعك ولا يخرج من باطنك.

حمل ثقيل جدا على كتفيك تودّ لو أن أحدهم رفق بك و حمله عن كاهلك

ولكن دون جدوى...

في إحدى الليالي لم يكن القمر في مثل هذا الثوب من البهاء و الجمال من قبل، حتى إنني خلتها ليلة عرسه..

نظرت أتأمّل السماء بنظرات عميقة، وأراقب النجوم من حوله فلا أرى غير ضوئه يشع على مدى الكون بأسره ، فلا يسمح لنجم أو كوكب ولا شيء من ذلك بأن يسرق نظري اليه منه..

تعجبت أشد العجب من هذا الجمال الكوني البديع...و سبّحت خالقه، سبحان الذي صور القمر و النجوم.

و في أثناء تأملي إذا بي أرى من بعيد بريق ضوء يسطع ثم يخفت بصورة متقطعة، لفت ذلك انتباهي لوهلة فنظرت إلى ساعتي فإذا هي قد قاربت الثانية بعد منتصف الليل..

أدركت أن الوقت قد حان لأوقظ زميلي ليستلم موقعه في نوبة الحراسة الليلية، وفي نفس الوقت لم أكن أريد أن اترك هذا المنظر البديع الرائع الذي قلما يتكرر..

فجعلت أنظر الى القمر و الى ذلك الضوء الذي يسطع ويخفت و تركته نائما..

و فجـأة..

تحول هذا الضوء الى حلقة كبيرة من النار..

ذهلت من هول ما أراه، ثم بدا لي صوت الانفجار قويا و كأنه فوق رأسي..

أسرعت الى زملائي أوقظهم لكي يروا ما يحدث..

كانت صدمة رهيبة بالنسبة لنا، فقد كنا مكلفين بمراقبة حركة الطائرات التي تمر فوق هذه المنطقة الهامة من القطاع ، بمحيط دائرة قطرها عشرة كيلومترات من حولنا.

للحظات أُلجِمنا و عجزنا عن فعل شيء، ثم أسرعت إلى جهاز اللاسلكي أرسل إلى القيادة لأبلغهم بالحادث، ولكن أحداً لا يستجيب..

أخذت أكرر المحاولة و لكنّها لم تجدي نفعاً، ثم أخذ مني زميلي الجهاز ليحاول بدوره..ولكن أيضا دون جدوى..

وفجأة..

ضرب أسماعَنا انفجارٌ أخر أشد وأقوى من سابقه، و أدركنا للتو مدى قربه ، لم يكن يبعد عنا أكثر من سبعة كيلومترات..

ما الذي يحدث؟؟؟

هل هي صدفة..

يتكرر المشهد...

ها هي طائرة أخرى تنفجر في المجال الجوي لنا.؟

نحاول جاهدين أن نصل إلى القيادة ولكن ذلك الجهاز اللعين لا يلتقط أي ارسال..

و لم تمر دقيقة على ذلك إلاّ و هالنا ذلك الصوت ...

انفجار أقوى وأشد بمراحل من سابقيه، ولكنه في هذه المرة لم يكن لطائرة تنفجر في المجال الجوي..هذا ما أدركناه حين رأينا الجدران تتطاير و برج المراقبة قد دمر ..

لقد كانت قذيفة مصوبة باتجاهنا ، وبمنتهى الدقة..

دمرت الخلايا الكهروضوئية فحلَّ الظلام الدامس..

ولكن تحول المكان الى كتلة من اللهب أضاءت كل شيء من حولي..

نظرت فإذا زميليَ قد فارقا الحياة..

و توالى صوت دوي الانفجارات من حولي..

ارتميت على الأرض...

و أدركت أنها النهاية..

تمت

"أحبك"

ماذا تريدين ؟؟

هل تريدين الغياب ..؟

إذن ابتعدي عني إن شئتي ..

هل تريدين أن أصرخ في وجهك .. ؟؟

فليكن .. سأصرخ حتى تكفّين عن البكاء...

هل تكرهينني ..؟

كيف تبدّلْتُ في نظرك لهذه الدرجة !!

كيف تلومينني على أنني لم أعد أحبك؟

أحقا أفعل !!

أم أنَّكِ أصبحتِ لا ترين أمامك؟؟

فلتكفّي عن البكاء واسمعي ذلك الصوت الذي بداخلك .. وصدّقيه ..

فأنا لم أكرهْكِ يوما .. و لن أفعل أبدا ..

فأنا أحبك

وكم أتألم لرؤية تلك الدموع في عينيك ..

قد نجحوا في إيهامك وضللوكِ ..

جعلوكِ لا تستمعين إلى شيءٍ سوى ما يتفوهون به .. أحقادهم .. ضغائنهم ..

كل شيء يُكنُّون ..

ساعديني كي نتخلصَ منهم ..

لا تستسلمي لهم ..

لا تتركيهم يخدعونكِ ..

لا تصدقيهم،،،

فأنا أحبــك

****

غدا سيكون أقسى، لأننا سنكون أضعف

"ارتباك"

استقبلته بحفاوة ، كمن يستقبل المطرَ صيفاً..

ابتسم وهو لا يعني ذلك لكن ابتسامتها جاءت أوسع ودون قصد.

ارتبك قليلا وأشاح بوجهه يسأل نفسه ..

لماذا دائما هو يقهرها !!

تحبه ..

تريده وتفضله على الجميع ..

يرى ذلك واضحا في أعينهم ..

وعينيها .. لو أن قلبه بيده ... !!

***

"أحبيني لأني لن أرى غيرك .. ولو كذبًا"

هي:

"إذا أقبل الليل فابتعد عن القلم، ولا تتحرش بأوراقك البيضاء.

فلست آمن عليك من قسوة الحنين الذي يتسلل إلى حبرك حين تكتبني.

أنتظر الصباح بنسماته الهشّة لتسلِّيك عني .. ولا تنتظرني ..! "

كانت تخاف عليّ للحدّ الذي لا تريدني أن أراها في أحلامي ..

عساني لا أصحو كدرا ..

رحلت لأنها لا تحب مصارعة المستحيلات، كانت واقعية لأنها

تخاف أن تتشبّث بأحلام هشّة تضيعُ .. وتضيعَ معها ..

قلبها يخاف الحزن ..

ويخاف الحياة..

نقية هي كثوب أبيض ..

كغيمة صافية تحمل المطر ..

ناصعة كالثلج الذي يملأُ قلبي ..

"يجيب الله مطر"

نعم... سيأتي الفرج

ساقطا من السماء،

أو عائما على لوح خشبي ..

أو مجسدا في بشر..

يجيب الله مطر..

***

"عندما يتحدث الدمع"

يصمت كل شيء .. يصمت الهواء ..وتصمت الشمس ويصمت الكون حين قدومه

ويختفي الضوء شيئاً ....فشيئاً " تنعدم الرؤيا " كليّاً ..! ولم يتبقَّ سواه !!

عندما يتحدثُ الدمع ..

قطرة دمعٍ تقهر .. لكنها تشترط: "لا بد من المزيد من جروح ومن قهر حتى أسقط". "هيا أسقطي فهناك المزيد من ألم .وإن اختلفت المسميات لكن وحدك تبقين" دمعة"..!

عندما يتحدَّثُ الدَّمعُ ..

تجعلك تدور حول نفسك تبحث عن متنفس تحاول ..

تدرك ..

تستشعر ..

علّك تتذوق معنى الحياة الهانئة ..لكنها تخنقك ..!!

تجعل بينك وبين الفرح مساحة من التشتت !!

وتلامس السراب ..

" هل تقبلين أن تكوني لي في السماء غيمة،

وبحدود الشمس سكنى،

وعند البحر شاطئا؟؟"

عندما يتحدثُ الدمع ..

يسرق منك جواز مرورك للحياة ..

كأنّك لم تعشها ..

يوماً فقط تعيش لما يسمى بدمع ..!!

وتظلّ تحسب وتحسب كم قطرة سقطت اليوم يا تُرى وبعد غد

ومرات ومرات وهل هي كافية لإزالة ما ترسب ..!

عندما يتحدثُ الدمع ..

لم أر منه يوماً أصدق حديثاً " ذلك الدمع " تحاول أنت تبحث عن حياة عن عيش وسط محيطك ..

"بطعم ولون ورائحة" ..

وتستفيق بلا ذلك كله ..!!

لكنها وحدها تخبرك ..

في الوقت المناسب بما غاب عن خاطرك ..!!

علك تجد بعد سقوطها راحة ..!!

وحده الدمع ..

يستطيع الإنسان قهر الأخر ..بما عنده من قوة وسلطان

لكن قطرة واحدة من دمعٍ ..تكفي لإذابة جبال من جبروت ذلك الإنسان

وحده الدمع يستطيع ذلك ..

***

"لن أنساكِ"

قبل أن أقول وداعًا ..

أيتها الجميلة بحسن ربها ..

سأظل ينبوعاً من الذكرى الوفيّة لا يجف ..

أشهدي أني أحبّكِ ..

وباقٍ على عهدك ..

ولن أنساكِ أبدا...

أتذكرك حينما أرى الأشياء الجميلة ..

فتتراقصين في عينيّ كالشمعة في نسمة الليل ..

أتذكرك ..

في البحر الصّافي الرائع ..

في الّليلة السحرية ..

في الزّهرة الربيعية..

في كلّ يوم .. وفي كل ليلة

في كلّ فجر، وفي كل غسق...!

سأتذكّرك حينما أبكي .. أو حينما أضحك..

أشاهدك في صورة كلّ إنسانٍ أحبه..

في صورة كلّ الأطفال بجمالهم وبراءتهم..

سأتذكّرك حينما يشعر قلبي بالأمل..

أو حينما يحس الألم ..

أو يكسوه اليأس ..

سأتذكّرك عند كل دمعة ..

عند كلّ سفر ..

عند كلّ غياب..

عند كلّ وحشة ..

و عند كلّ هجرة..

سأتذكّرك عند كلّ ابتسامة..

عند كلّ عودة مسافر..

عند كلّ فرح..

سأتذكرّك في كلّ لحظة !!

ولن أنساكِ أبدا ..

***

"سلام على الذين يذوبون عشقا، ويتلاشون في صمت."

"وإنّي أواجه نفسي بحبّك .. فأضعف أكثر!!
وأصغر أكثر.. "

"حديثُ البلاد"

حدثيني يا بلادي..

عن سرابٍ اسمه فجرٌ جديد..

عن نهارٍ ليس يأتي..

عن وليدٍ مات أو شيخٍ رشيد..

حدثيني.. لا تبالي بصراخي،

كيف يلهب سوطُ سجانك أجسادَ العبيد..

هل تعاني الحامل وجعاً .. حين يبقُرُها الحرس؟؟

هل أُصبتِ بالخرس؟

أخبريني كيف تُدفن أشلاءَ الجثث؟

كيف تُحرَق .. كيف تَدهسُها النِعال

أم ليس لي حق السؤال؟

أو ليس لي فيكِ وطن؟

حدثيني كيف يشرب العصفور من فم الحمم..

كيف أن الصقر ينزل كل يومٍ يلتقطُ الرمم!!..

هل قلبت الأمور؟؟

وذلك الكرهُ الذي عم الصدور..

هل هناك حقا من أمل؟؟

هل تراه يعود يوما ذلك المدعو أمل؟؟

حدثيني إني منصتٌ لصوتك المبحوحِ..

في ميدان قتل..

أنا ما شربت يوما يا بلادي وارتويت..

كلُّ أخ .. كلُ حبٍّ أو صديقٍ قد رحل..

حدثيني عن ربوعك كيف هجرتها الطيور..

كيف أن الحزن غطى كل ألوان الزهور..

خبريني ما العمل؟

هل هناك حقا من أمل ؟؟

غضي طرفك يا بلادي كيف شئتِ..

صُمِّي آذاني وعقلي إن أردتِ..

إن رأيتِ قتلي يجدي .. فاقتليني ..

صار فينا القَتلُ حِلْ.

حرّري الطّاغوت أكثر..

لن يأتي يوما ذلك المدعو أَمَلْ..

***

"وعلى قيد الانتظار،

أترقّب حلماً سيولد قسرا ..

رغم أنف اليأس ..!! "

"حبّ أسفل الأسقف الرمادية"

اقتحم غرور وحدتها، وألجمها صمتا غريباً، وجعلها متحفّزةً لدقّ عنقه بهراوة من غضبها المكبوت منذ اللّحظة التي تهكّم فيها عليها لو أتيح لها ذلك. إنّها البداية، لكن بخفته وظرفه استقر بقلبها رغما عنها. هي التي لم تعد تعنى بالحب أبدا، ولم تلق له بالا .. بل وكانت تسخر من حمقاوات في مثل عمرها بزعمها يسكبون الليل ودْقاً من المُقَل بسبب أحدهم.

عبث ..

عبث ..

عبث..

الآن لم يعد عبثا، بل صار وهجا يحرق القلب بعذوبة، ويمتص

الراحة من جسدها ويخلّفها السهاد.

عشقها للرمادي لم يجعلها تنحاز أبدا لأصحاب القلوب البيضاء "الأغبياء" كما تظن، ولا لأصحاب القلوب الداكنة البغيضين جدّا.

عجزت عن صدّه بشتّى طرق الوقاحة التي تعامل بها أمثاله من المتحذلقين، واللطف الذي لم تعتده مطلقا حتى يئست منه.

وفي اللّحظة التي أوشك فيها هو أن يترك طرف الحبل ..

أمسكته هي بكلتا يديها ...

وجذبت.

"احتسيني كقهوةٍ مُرةٍ،

في صباحٍ شديد البرودة ..

لتعلمي كيف هو طعم الدفء"

تعوّدت أن أصبر حين تغادرني أمنياتي وأحلامي وترحل،

تعودت أن أتحمل حين تضيق بي الدنيا سبلا.

تعودت أن أخلص في وجعي وأقف في وجه عجزي وأصرخ..

"الهزيمة"

لمعت عيناها وأوشكت أن تفيض فلم تلبث أن تماسكت وقالت تشد من أزره:

"أنا قوية لا تقلق عليّ"

هكذا أرادته أن يغادر قبل أن يغتاله حزن عينيها. لم تقوَ قدماه على حمله، وكأنهما غاصتا في قلبه وهمت لتتركه وتذهب ولكنه تعلق بطرف ثوبها كطفل يتوسل ..

لن تضيعي ثانيةً ..

***

رحل ليلاً، وكأنه خجل من أن تراه وقد هزمه الغياب.

غادرها وحيدا كما أتاها وحيدا، تماما في كل شيء عدا أنه أخذ كل ما كان يبقيها على قيد الحياة.

عام.. وسنين مضت

أغمض عينيه لحظات يلملم شتات فكره ويستعيد ما قالت:.

لماذا تأخرت كل هذا الوقت. .!

***

تسعة أعوام وأنا أنتظرك، لم يراودني غير حلم دوما يزوروني آراك فيه تأتي ولكنه لا يتحقق. مللت من الإنتظار، وضعفت من التفكير .. ووهن جسدي من شدة الشوق. تسعة أعوام وأنا أفتش عن خيبة ركنت واستقرت بفؤادي حين رحلت.

تسعة أعوام وأنا أبحث في ثنايا الذاكرة عن تذكرة كنت قد قطعتها وقطعت آمالي معها وأنت على أهبة الرحيل.

لماذا لم أمزقها حين عثرت عليها صدفة تبرز من جيب معطفك تريد الانزلاق ..!! ؟

أكانت تشعر بي ..؟؟

أتراها كانت تريد منك البقاء كما أريد .. !!

حتى التّذكرة أبت أن تفارقني ..

ولكنّكِ فعلتِ ..

لم أرد أن أمنعك وأنت الذي قلتها صريحة " الحب الذي يقتله الزواج ليس أهلا لنا."

ماذا كنت سأفعل وانا أراك ترتب لكل شيء وأنا خارج حساباتك.

اليوم وقد عدت .. أطرح عليك نفس السؤال..

– حتى الآن لا يمكنني أن أجيبك.

لازلت لا أعرف ..

لم أعرف غير الخوف الذي يطاردني هنا في وطني.

خشيت أن يهزمني الموت بك،

وأنا الذي طالما غلبته رغم عجزي وقلة حيلتي. خشيت أن تموت النسمة التي توطن بداخلي حب العودة.

أردتك أن تعيشي في سكينة، وأن تعانقي النسيان.

***

"كانت تحبه جدا لدرجة الكره!

فنحن لا نكره إلا عندما نحب جدا!

ونتعلّق جدا..

كرهته للحدّ الّذي كانت تريد عناقا يدفن قلبها بين ضلوعه

ويضربه بنبضاته حتى النّزف"..

"اللّيل قاتل يا سيدتي ..

إنه يستبيح كلّ نزفي..

وحكايا الماضي المؤلمة"

فاصل

ذات يوم، سيخبرك البريد أني سئمت، وانتظرت حتى النهاية، ولكنك لم تعد. سيخبرك بأني على وشك الرحيل إلى مدينة لا أثر فيها لقصائد عشق تشبهك. ولا مراكب حنين تبحر بي إليك. سيخبرك بأني قد نسيتك، وتربعت على عرش النسيان دون أن ألمح في وميض الذاكرة طيفك.

سيخبرك بأني بُعثت إنسانا جديدا، لا يعرفك."

***

"عتاب "

أخبرك يا نفس أني قد ضقت بك ذرعا

ولم أعد أطيقك بين جنبات أضلعي ..

ولم يعد يهنأ لي عيش معك ..

وإني قد بحثت عن مخرج و مفر فلم أجد

و حاولت مرارا ان أبتسم وأنا أحملك بداخلي إلا أنك تأبين دائما

وأني كلما أرغمتك على ذلك لبرهة ، فعاقبتني بألم أفظع ..

و حزن أقسى و أمر من ذي قبل ..

والله لو كان لي أن أتبرأ منك لفعلت ذلك حالاً ..

ولو أني لست بمحاسب عليك ، و على أفعالك .. لآذيتك أشد الإيذاء

و تربصت بك المنازل فأنزلك أسوءها ..

ولكن ألمك يؤلمني..

و حزنك يضنيني..

وربي مؤاخذني بك.

أيانفسُ... أقسمت عليكِ بالجبّار أن ترحمي أناتي و نواحي.

وان كنت منتظرة شيئا من رحمة الدنيا، فليس للدنيا أمان أو إحسان حتى تنتظري.

وإن كان لك من الأمل شيء، فليكن كله لله ومن الله.

أعلم أن للدهر صروب... و تعلمين أننا ضعاف القلوب.

فـ بالله لا تمرري أيامي أكثر ..

ففيها من المرارة ما يكفي ليطبع على كل حلو و جميل.

ولا تعمدي إلى إيذائي بدفعي إلى التفكير والهم.

ولا تشرعي في طرحي أرضا من الألم كلما رأيتني مبتسماً.

لا ترفعي يدك عندما أهتم بأطروحتك و أحتار فيها، فأغدو بلا عقل ولا منطق و تتنحي أنت جانباً كشمطاء أسقمتها البلاهة.

لا تلقي بي إلى بحر الهموم دون شراع ولا طوق نجاة.

لا تعاقبيني على ذنب ليس ذنبي.. وقدر ماكتبته لنفسي.

انتصري لي ولو لمرة..

لا تكوني كالشوكة بحلقي..

لا تعامليني كعدو، فلست أنا عدوك.. ولست أنا بمضنيك

لست غير بائس رتع من أسى الأقدار..

وحار و أحتار..ولم يعد يشعر بفرق بين ليل أو نهار

كلاهما واحد.. فلا الصبح يأتي بجديد، ولا الليل بسواده يمحو الماضي المقيت.

سعادتك ليست بيدي.. و لست بسر شقائك وآلامك.

فارحميني يرحمك الله..ولا تزيدي أوجاعي

كفاك طرقاً فوق رأس دامية، و نقباً في جروح بالية.

تفتشين عن الهم في كل مضغة في قلبي، وعن الألم في كل شبر من جسدي.. و توقظين الجروح النائمة.. والهموم الراسخة.

لا أقول تستمتعين بعذابي، ولكنك لا تسمحين بهنائي.

هل الموت ما تنشدين؟؟

أنا لا أبيع الموت.. فلا تجدّي بالبحث عنه لدي.

لو أعلم جوابا لك لأعطيتك.. ولكني لا أعلم

لا أعلم متى سينتهي ألمك !

أو كيف سينتهي ألمك ؟

أو كيف ستقضي نحبك !!

فلست أنا المعني بذلك..

فكفي عن منازعتي.. و ساعديني

و خذي بيدي... ولا تشقيني..

رباه ضاقت بي الدنيا

فأجعل لي من لدنك مخرجاً

"مناجاة"

أصارح نفسي..

بأن أشياء كثيرة تحدث لي لم تكن لتصيب غيري

فهي قدري وأنا عليها أصبر

لكن ، ما يهم فعلا، هو لحظة وقوع البلاء..

تماما كالساخط الحانق الذي لا يرى أمام عينيه من كثرة الشرر

في لحظتها فقط

ثم يهدأ الرّوع

و تسكن النفس

و يخف تشنّج الجسد

لكن..

بعد فوات الأوان ..

فات أوان الصبر على البلاء، و حل محلّه الحنق و السخط والغضب.

ضاع فضل الصبر،

و علق بي ذنب السخط و الغضب.

أدركت ذلك .. فحزنت،

و مرض الجسد و هزل

و شحبت العينان من الدمع ..

ليت هناك من سبيل أسلكه ليعيدني إلى وقت ما أريده ..

ليت شعري، كيف يعود الزمن؟!

فلتتألمي يانفس ، ولتحزني

عسى أن يشفع لكِ هذا الألم و الحزن على ما اقترفتِ من ذنوب

..

ربِّ لا تؤاخذني بما أذنبت ..

و عاملني برحمة أبٍ شفيق على ابن أثقلت جراحه الأيام

فسبقت شفقته به ، غضبه لبعده عنه، ولعصيانه له

ربّ عاملني بحلم حليم أتاه الضعيف الهارب من العقاب ، فنظر إلى تأوهاته و بكائه ..

و عجزه و كربه ..

فأمَّنه و رحمه ..

ربّ قد عجز لساني عن البوح بما في سريرتي،

و ثقلت قدماي بحمل جسدي الذي ملأته الذنوب ..

أي رب،.. وأنت تعلم ما وراءها

تعلم عن كل ما تحمله من دعاء و رجاء ..

أيا رب .....

كن لي عونا مُعيناَ ..

يا رب ..

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع